الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لمد خاطر

حزيران

هو في السريانية « حزيرون » ، وفي العبرانية « سيوان » من « سيفانو » البابلي ، واختُلف في معناه . يقابله من اشهر الفرنجة « جوان » من جونيوس اللاتيني رابع شهر من اشهر السنة الرومانية التي وضعها روملوس ، وقد اسماه كذلك لسببين : اما حفظاً لذكرى الشبان من جنوده الذين كان يدعوهم « جونينوس » ، واماً تيمّناً باسم الآلهة « جونون » التي يدعوها اليونان « هيرا » ، وهي ابنة زحل وامّ المريخ المشهورة في الاقاصيص القديمة بقسوتها وحسدها .

كان الاقدمون يعتقدون ان الذي يتزوج في هذا الشهر يطول عمره ، لان ايامه طويلة مشتملة على اطول يوم من ايام السنة وهو ٢١ منه .

***

وحزيران في التقاليد اللبنانية شهر « البر ووفاء الدين » ، لان الملّاكين والمزارعين يبدأون فيه باستثمار مواسمهم ، وبيع ما تنتجه ارضهم ، واستغلال موسم القزّ الذي كان يُعدّ اهم المواسم اللبنانية واوفرها عائدة ، لذلك اعتادوا جعل ١٥ منه موعداً لآجال سنداتهم ، اذ يصبحون فيه قادرين على اداء ما يطلب منهم من دين . لكن هذه العادة اخذت تتلاشى بعد انحطاط هذا الموسم وتضاؤل منتوجه بسقوط اسعاره .

والدائن اللبناني قلّما كان في السابق يربط دينه بسند او رهن ، او يقيم عليه شهوداً ، بل كان يعطيه المدين سرّاً لئلا يجرح كرامته واحساسه ، ومن امثالهم المشهورة في ذلك قولهم : «الدين ستره» وذلك كان لشدّة استمساكهم بفضيلة الصدق ورعاية اصول التعامل ومبادرة المدين الى وفاء دينه في الاجل

المضروب بلا مطل ولا تسويف ، واهتمامه باتحاف الدائن حيناً بعد آخر ، ولاسيما في الاعياد والمواسم بمختلف الهدايا من موارده ومحاصيل ارضه ونتاج ماشيته ، كأن يحمل اليه سلال الفاكهة والخضرة ، وبراني السمن واللبن والعسل اقرارًا بجميله ، متلطفاً اليه بمثل هذه العبارات : «كثر الله خيرك اوزاد المال بين يديك ! وان وفيتك مالك فلست قادرًا على ايفاء فضلك ! »

وقد روى لي احد الشيوخ ان وجيهاً في عصره احتاج مالًا وراح يستدينه من متموّل ، فوعده هذا به على ان يربطه بسند من توقيعه ، فابى الوجيه اخذ المال لقاء سند اعتبار ان ذلك يحطّ من قدره ويدلّ على الاسترابة بصدقه وصحة ضميره ويلحق به اهانة لا يرضاها مثله .

وفي حزيران تكون مواسم الفواكه والخضر لا تزال في معمعان رواجها في المناطق اللبنانية المتوسطة . ومن اقوالهم فيها : « في حزيرانك يا فلاح ، فرّق الخوخ والمشمش والتفاح » ، وكلمة « فرّق » تشير الى التقادم والهدايا التي يتبادلها اللبنانيون مما تنتجه ارضهم وماشيتهم ، لان هذه المحاصيل لم تكن تباع سابقاً في القرى البعيدة عن المدن الا في القليل النادر ، وسبب ذلك توافرها لدى السواد الاعظم ، ولان اللبنانيين قبل شيوع الهاجرة بينهم وتطوّر معيشتهم تطوّرها الطارئ الاخير كانوا باكثريتهم الساحقة منصرفين الى الحرث واستثمار الارض وتربية المواشي . فكان كل ما يفيض من محاصيلهم عن استهلاكهم الخاصّ يفرقونه هدايا على كهنتهم وزعمائهم وجيرانهم واصدقائهم واقاربهم لتفاهة قيمته وقلة الحاجة اليه ، او يحملونه الى حيث يستبدلونه مقايضةً بنتوج آخر مما ينقصهم وتمسّ اليه حاجتهم كأن يبدل الدبس بالزيت والتين بالزيتون والحنطة بالفواكه الخ ...

ومما يزيد شيوع عادة التهادي بينهم بيتان من زجلية قديمة تتناقلها السنتهم ، وهما هذان :

من المشمش المال اخذت اليوم سلّتكم ومعها رسالة تدلي عفرقتكم
ان جاء البشر يبشرني بسلامتكم لاعطيه روحي وافرّق من هديتكم

وهذا دليل على ان عادة تهادي الغلال والمحاصيل شائعة منذ القديم في لبنان .

وفي حزيران تنقف الطيور عندنا بيوضها وتربي فراخها منها : الدجاج ويجمعون للدجاجة الامّ ، ويسمونها «القرقة» ، البيض الحديث . وقبل ان تحتضنه يرونها تحت فخذ عازب وقايةً لها من « الكبسة » ويضعونها على البيض في مكان مظلم بعيد عن الناس لئلا يقع عليها ظل حامل او عازب او عازبة ، فتغادر البيض فيفسد ويبطل نقفه

ويؤثر عندهم العازب العفيف في امرار «القراق» تحت الفخذ او « فشخها » ، ومن كان مشهوراً في القرية من الاعزاب بعفافه قصدته النساء « بقراقهنّ » « ليفشخها » وحملنَ اليه الهدايا جزاء عمله .

ومما يروون في مسامرتهم بهذا الصدد : ان اسقفاً كان له شماس كثير الاخلاص والحسنات ولكنه كان حادّ الطبع ، فاذا احتدم غيظاً انطلق لسانه بالسبّ والشتيمة ، فكان الاسقف الجليل يحاول اصلاحه من نقيصته بشتى الطرق . وقد اراد مرةً زيارة قرى الابرشية وخاف ان تكون نقيصة شماسه حجر عثرة للناس فاوجب عليه كلما دخل قرية وضع حصاة في فمه حتى اذا ما أغضب واراد الشتم تمنعه الحصاة عن الكلام فيصمت ، وهكذا يتعوّد الاحتمال ويخلص من عادته القبيحة ولا يعثر الناس بسببه . وخرج الاسقف مرة من احدى القرى بعد ان اقام فيها اياماً فودعه الاهلون الى آخر الخراج بالاجلال ، وبعد ان ابتعد وشماسه عنهم واذا بامرأة تجري وراءهما وهي تصرخ متوسلة الى المطران ان ينتظرها هنيهة لامر يهمها . فوقف الاسقف في مكانه وهو يحسب للامر الف حساب ، ثم وصلت المرأة واذا هي تحمل بيدها دجاجة فقالت للمطران : « ارجوك يا سيدنا ان تفشخ لابنتك العاجزة هذه القرقة قبل رحيلك فانك خير عازب عفيف دخل قريتنا . »

فساءت الاسقف غلاظة هذه المرأة وقلة ذوقها ، والتفت الى شماسه فقال : « ابصق الحصاة يا ولدي ! » ففعل الشماس بما امره الاسقف وانهال على المرأة بالسبّ والشتم ، واعادها الى القرية تتعثر باذيال الخجل والخيبة . وقد ذهبت كلمة الاسقف مثلاً عندهم فهم يقولون : « بصق فلان الحصاة » اي انه استسلم الى غضبه بعد دعة ، وجهر بما يكنه ضميره من الاسرار والخفايا .

ومن الطيور التي تفرخ في هذا الشهر الحجال فان صغارها تدرج فيه فيقتنصها الصيادون بالاشراك ويربونها في اقفاص . فاذا كبرت استعملوها في الاشهر الاخرى من السنة في صيد « اليقلوم » او القترة وهي الاكواخ الصغيرة التي يكمن فيها الصيادون للصيد، وذلك بان يضعوا الحجال الداجنة المحبوسة في الاقفاص على منصة قريبة من اليقلوم الذي يكمنون فيه باسلحتهم حتى اذا جاءت الحجال البرية على صوتها اطلقوا عليها نيران اسلحتهم فصرعوها. ويقولون في امثالهم :« تعسك على صوص حزيران لا يروح ضيعان » . وفي الربيع الى آخر حزيران يستخدمون في صيدهم « السركة » وهي تحريف « السلكة » اي انثى الحجل ، وفي الفصول الاخرى يستخدمون الحجال الذكور . والحجل كثير في حدود لبنان ، وكان الامير بشير شديد الولع بصيده . وفي اللبنانيين خواصهم وعوامهم من كلفوا في فنّ الصيد كلفاً شديداً ، واتقنوه كل الاتقان .

وفي بعض الجهات اللبنانية ينضج قسم من المزروعات في هذا الشهر فيبدأون حصاده ، ويقولون في ذلك :« في آخر حزير ، طلع ابنك على الغمير » فحزير في اصطلاحهم حزيران ، والغمير الحصاد ، ويظن انهم اخذوا هذا اللفظ من كلمة « غُمر » وهي بلغتهم العامية الذراع او ما يحمل عليها من قش وعشب ونحوه، والغمير في اللغة الفصحى الماء الكثير ، ولعلهم ارادوا بالمثل المتقدم ما تأويله : «في حزيران اترك ابنك يذهب الى الغدران الغزيرة الماء للاستحمام فيها والابتراد بها من لوافح الحرّ التي تشتد في هذا الشهر » ولذلك يقولون ايضاً :« في حزير ، تغلي المياه في البير »

ويقولون :« حرّ حزيران يعمل الحليب عيران » والعيران عندهم الحليب الخاثر ويسمونه « اللبن الرائب » ويقولون :« في حزيران تدخل الشمس برج السرطان ، وتقول للحرّ اهلًا باعزّ الخلان »

وفي ٢١ حزيران ينتهي فصل الربيع ويدخل فصل الصيف ويقال في ذلك : « حزيران شهر البسط والكيف ، اوله ربيع وآخره صيف .»

وفي ٢٤ منه يقع عيد مار يوحنا المسمى عندهم « حرّاق الدواليب » وقد سمي كذلك لاحد سببين :« الاول ، حصول حادث كبير في احدى السنين يوم

هذا العيد احترقت فيه مجموعة من الدواليب الوطنية التي كان يحلّ الحرير عليها قبل شيوع معامل الحل على الطريقة الاوربية. فعدّ الناس ذلك الاحتراق قصاصاً لاصحابها لانهم اشتغلوا يوم العيد مخالفين بذلك شريعة البطالة، واخذوا يذكرونه تباعاً كل سنة في مثل يوم وقوعه مسمين العيد باسم «حرّاق الدواليب» وقد تنوقلت هذه التسمية عاماً بعد عام حتى وصلت الينا. الثاني اعتياد اصحاب الدواليب المذكورة منذ القديم مباشرة حرق حطامات مصانعهم ومخلفاتها في مثل هذا اليوم الذي ينتهي فيه زمن الحلّ لعدم الحاجة اليها، فادى ذلك الى تسمية العيد بذلك الاسم من باب تسمية الكل باسم الجزء.

وفي حزيران تنقى دوالي كروم العنب ممّا ينبت على جذوعها من النوامي لان هذه اذا تركت تضعفها وتمنع العصارة المائية عن عناقيدها، ويسمى ذلك باصطلاح العامة «التفريك» ويقولون في ذلك: «فرّك كرمك في حزير، بيزيد قناطير.»

وقد تلد الهررة في هذا الشهر ولادة ثانية فتكون مواليدها ضعيفة البنية لانها في غير اوانها، وتقول العامة في هذه المواليد: «بسين الحصرمة كل عمره متعلس» اي مهزول.

ويذكرنا هذا المثل بما اعتاده اللبنانيون من تأريخ حوادثهم بالمشاهير عندهم من المواسم والاعياد كأن يقول احدهم: «سافر والدي الى اميركة ايام القز، ومات جدي نهار عيد الميلاد، وتزوّج اخي على المرفع او الاحد الجديد» وما الى ذلك.